الدكتوراه.. بداية العطاء العلمي (الدكتورة مريم محمد الوباري)

منذ سنوات دراستي في المرحلة الابتدائية، وبالتحديد في السنتين الخامسة والسادسة، حين بدأت أقرأ الصحف والمجلات، كنت ألاحظ حرف (د) الذي يسبق أسماء بعض الشخصيات، ويشير إلى حصولهم على شهادة الدكتوراه. وكنت أشعر بأشد الإعجاب بهؤلاء الطامحين، ممن كدحوا واجتهدوا حتى نالوا هذه الدرجة العلمية، خصوصا من يعززون مكانتهم بالدراسات والتأليف، ويساهمون في توعية المجتمع من خلال الكتابة. حتى إنني كنت أتمنى، وأنا طالب في المرحلة المتوسطة، أن ألتقي بشخص يحمل شهادة الدكتوراه وأتحاور معه، في زمن كان فيه جميع المعلمين الذين يدرّسوننا في المرحلتين المتوسطة والثانوية من جنسيات عربية.

وكان أول لقاء لي بشخصيات من حملة الدكتوراه عام 1980، في معرض جامعي أقامته كلية العلوم والهندسة بالأحساء، فرع جامعة الملك فيصل بالدمام، حيث تواجد عدد من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة من حملة الدكتوراه. كما التقيت عام 1983 بأحد أساتذة جامعة البترول والمعادن، وهو الدكتور أحمد عبدالسلام، الذي عرّف طلبة الصف الثالث الثانوي بالجامعة وتخصصاتها. وفي السنة نفسها، زارنا الدكتور السيد محمد الصالح، وهو من مدينة القارة، حيث كنا ندرس المرحلة الثانوية، فتحدث عن الجامعة ومستقبلها الأكاديمي، وتميزها عن الجامعات الأخرى، وقوة تخصصاتها في سوق العمل، وذلك قبل التحاقي بها طالبا في العام نفسه.

وما زلت أرى أن حامل الدكتوراه شخصية طموحة محبة للعلم والتميز، تسعى إلى تحقيق ذاتها أكاديميا، وتستحق الاحترام لما بذلته من جهد وتعب، خصوصا أولئك الذين يطمحون إلى الانتساب للسلك الأكاديمي والعمل أساتذة في الجامعات. وغالبا ما أنصح، في جلساتي مع بعض الشباب الجامعي، بألا يكتفوا بالبكالوريوس، فعصرنا أصبح عصر الماجستير كحد أدنى للطموح العلمي.

أتذكر الفترة من عام 1980 إلى 1986، حين كنا نجلس مع مجموعة من شباب المرحلة الثانوية الأصغر مني سنا على الرصيف في الشارع العام أمام مركز الوباري، بعد صلاة المغرب، وهو المكان الأكثر تجمعا للشباب. وكان أغلب الحديث يدور حول الدراسة في المرحلة الثانوية، ويتطرقون إلى مقرر النحو والصرف وإعراب بعض الجمل، تذوقا للغة العربية، إلى جانب ذكر بعض الأبيات الشعرية لشعراء جاهليين، وشعراء مثل المتنبي والمعري والبحتري وأحمد شوقي. فالمحب للشعر يستمتع باللغة العربية ومترادفاتها

المتنوعة، والحديث فيها دلالة على التذوق والإحساس العميق بمعانيها وفلسفتها. كما تساعد اللغة العربية على الفهم والإدراك؛ فاللغة الأم عامل مساعد في الاستيعاب والتحصيل العلمي في جميع التخصصات.

ومن هنا، سعدت بدعوة الأخ العزيز جعفر أبويزن، شقيق الدكتورة مريم، لحضور مناقشة رسالة بنت العم الدكتورة مريم محمد الوباري، للحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية (تخصص اللغوياتُ/مسار النحو والصرف)، بجامعة الملك فيصل، يوم الخميس 12 نوفمبر.

إن حضور مناسبة أكاديمية كهذه يُعد تسجيلا مميزا لا يتكرر كثيرا في تاريخ العائلات والمجتمعات، فالحضور دلالة اهتمام ورعاية، وتشجيع صريح وتحفيز ضمني على أهمية الدراسات العليا للأجيال الحالية والقادمة. كما يمثل توثيقا لنقلة نوعية في مسيرة الحاصل على الدكتوراه، ومحطة ينبغي التوقف عندها، باعتبارها مرحلة انتقالية نحو مستويات علمية أعلى. فالمجتمعات والدول تُقاس بما تمتلكه من كفاءات علمية وحملة للشهادات الأكاديمية، وخصوصا الدكتوراه؛ إذ يمثل حاملها رمزا علميا وصاحب منهج بحثي يمكن أن يفيد مجتمعه ووطنه بالأبحاث والتأليف والمحاضرات في تخصصه.

وتمثل هذه المناسبة محطة مهمة في تاريخ عائلة الوباري، فهي الثانية بين الذكور والإناث التي تحصل على الدكتوراه من خلال رسالة بحثية. وقد اختارت تخصصها عن حب ورغبة في اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، ولغتنا التي ازدهر بها الشعر العربي، وبرز فيها شعراء المعلقات السبع، وأُلّفت فيها المعاجم وكتب الشعر والنثر.

وتُعد العربية من اللغات الحية التي صمدت أمام الهجمات الممنهجة التي استهدفت تغييرها وإضعافها، لكن لغة القرآن الكريم تواصل نموها، ويُعبّر بها شعريا وأدبيا، وتُوظّف مفرداتها للتعبير عن أعمق المشاعر الإنسانية وأصدقها، ولصياغة أبلغ الخطب المؤثرة في النفوس. فهي تستوعب الجديد، وكلماتها غنية بالمعاني، واستخدامها يبرز البلاغة وقوة البيان، كما أن إجادة إعراب جملها وعباراتها دلالة على الإبداع والتعمق في فلسفة اللغة العربية.

مرحلة الدكتوراه ليست مرحلة تدريس في الجامعة فحسب، بل هي محطة للأبحاث والدراسات الأكاديمية وتأليف الكتب. ومن يحصل على الدكتوراه من خلال رسالة بحثية يتقن المنهج العلمي لإعداد الأبحاث والدراسات، ويسهل عليه تأليف الكتب التي ينبغي أن تعزز جدارته العلمية، من خلال التأليف وسبر أسرار اللغة العربية، وانعكاسها على متحدثيها، ودراسة عوامل تعزيز مكانتها في عصر لغات التواصل

الاجتماعي الرقمي، والتحديات التي تواجهها.

هذا ما نأمله من الدكتورة مريم محمد الوباري، بعد المباركة لها ولأسرتها الكريمة، أن تكمل مسيرتها الأكاديمية بإعداد الدراسات وتأليف الكتب في تخصصها، ونشر الأبحاث في دوريات متخصصة ومحكّمة. فهي محل فخر واعتزاز، وفقها ا في مسيرتها العلمية والأكاديمية.